سينما

«طيور الجنّة» لأدينا سميث

حكاية شفهية عريقة

في «طيور الجنّة» تكشف سارة أدينا سميث بعض كواليس فرق الرقص، من خلال قصة راقصتين تتنافسان بحدّة للفوز بالمرتبة الأولى وبالنجومية

محمد بنعزيز

تتنافس شابتان أميركيتان (ديانا سيلفرز وكريستين فروست) في باريس على حبّ راقص برازيلي. العولمة الفنية في أبهى صُوَرها. شابّة تنعم بفساتين حريرية، وأخرى تسرق لصقةً لترقيع حذاء رقصها. الفوارق الطبقية في أبشع صُوَرها. في «طيور الجنة» (استديوهات أمازون)، لسارة أدينا سميث، يُمكن للهواية والفنّ، رغم نقص النقود، أنْ يرفعا موقع الشخص الموهوب إلى رتق الهوّة مع الأغنياء. لا تعترف الموهبة الفنية بالفوارق الطبقية. التحدّي كبير: «لماذا أنتِ هنا؟ لكي أفوز». يوجد مكان واحد للفائز. لذلك، على الفائز أنْ يسحق الآخرين، ليمرّ فوق رقابهم. لهوس النجاح في العصر الحديث كلفة رهيبة. شرط النجاح إلحاق أكبر أذى بالمنافسين. عليك أنْ تفترس ولي نعمتك في أول فرصة، وتمرّ على جثته. هذا لبّ المجتمع البورجوازي، كما يتجلّى في مشاهد تذكّر بتشبيه أنوري دو بالزاك للمتنافسين، في روايته «الأب غوريو» (1835)، بالعناكب في إناء فخاري، يفترس بعضها بعضاً. يقدّم «طيور الجنة» الطبعة الباريسية لـ«طيور الجنة»، التي تقطنها شابات لابسات كالفراشات، ناعِمات وقاتِلات ومُحبِيات ومُبدِيات مِنَ الدَلالِ غَرائِب. هذه سلطةُ الجسد الجميل على مشاهده.

الباليه أصعب امتحان للجسد. في صمته، يتفوّق على السينما الصامتة. تحكي السينما، بشغفٍ، سيرة الجسد الذي يخطو خطواته الأولى في عالم الفن واللذة. خلف حركات الجسد، هناك منطق الغاب في عالم الفن. فاتنات بأجساد رشيقة، تتلوّى كثعابين. في رفقة مثلهنّ، يبدأ الفنّ بعد أنْ تبرُد الرغبة. ما الدافع إلى تحمّل هذا؟ يرفض الفرد أنْ يكون نكرة، فكيف سيصبح نجماً؟ يحتاج إلى جائزة. من سيحصل عليها؟ الوغد الموهوب. في لعبة التحدّي، واحد فقط يربح. التحدّي الفني اختبار للجسد. يتمرّن الفنان بشكل مرهق. مع النجاح، يصير الإرهاق متعة، بفضل شغف الفن. مع تقدّم الأحداث، تكتشف الشابة عالم الفنّ، حيث يحتلّ المال والجنس موقعاً مؤثّراً. في قانون الغاب هذا، هناك مشكلة لدى الفنان: كلّ معركة جانبية تؤخّر الإنجاز الفني. لاعبة كرة السلّة رجولية، تعشق الباليه. حين ترقص، تفيض أنوثة. هذا سرّ التفوّق في عالم الفن. قلبٌ متمرّد، وإرادة حديدية. التمرّن بشراسة، مع تجنّب مقالب الزملاء الأعداء. تتسابق الشابات للظفر بالمرتبة الأولى. هناك جائزة واحدة. هذا فيلم موجّه إلى جمهور شاب، يرزح تحت عبء إثبات ذاته. فيلم عن لعبة تحدّي، وتنافس شرس. لا ثقة في الشريك.

سارة أدينا سميث: حاجة البشر إلى النجوم لإضاءة حياتهم (فيلم ماجيك)

باليه الحرب الأهلية بين راقصة وأمّها وبين الراقصات

تلعب تخسر تنسحب، تُطرد أو تموت. هذه خطاطة الأفلام والمسلسلات الناجحة حالياً، كما في سلسلة «لعبة الحبار» التي أطفأت شعلة سلسلة «لا كاسا دي بابيل». في مراحل السباق، كلّ مرّة يغادر الخاسر تحت نظرات حكم عدواني، ومشاركين يتنافسون في طابور النكرات. إنّها لعبة قانون الأقوى. ليس صدفة أنْ تتمرّن الراقصة في مكان يوحي بالغابة. هذه ألعاب تحدٍّ، ترفع منسوب العدوانية في دم المتفرّج.

هكذا تستلهم السرديات الفيلمية ألعاب الفيديو التفاعلية. هذا يجعل الأفلام والمسلسلات تتشابه بألعاب الفيديو. صار استخدام الحيل والأساليب نفسها مهيمناً. حيلٌ تخلق فرجة آنية، مبنية على خدع بصرية، وعلى الانزياح عن سنن سردية تقليدية. لمنح السرد عمقاً، يستخدم التناص مع سرود سابقة، وحكايات شفوية خاصة. يروي «طيور الجنة» فترة طويلة، في سرد خطي، يغطّي الحفر الزمنية بالكتابة على الشاشة: «وبعد 3 أعوام». هذا عن السرد، أما بصدد الصورة، والكادر الذي وضعته المخرجة لعرض حكايتها بصرياً، تمّ التصوير في مبانٍ باريسية تاريخية، مع إضاءة من زمن ماضٍ. يُسلّط الضوء على الراقصة، ويغمر الظلّ محيطها. «كادراج» يصنع من اللقطات بورتريهات. يظهر على هذا المستوى عملٌ كبير، على صعيد الإضاءة، التي جعلت اللقطات أقرب إلى لوحات زيتية. يفسّر الديكور ويبرّر نوع الإضاءة المختارة.

يتناص «طيور الجنة»، في أجواء التنافس، مع «البجعة السوداء» (2010) لدارين أرونوفسكي، الذي يبدأ بالبحث عن نجمة جديدة تُقدَّم إلى العالم. من تكون؟ إنّها نينا (نتالي بورتمان)، بطلة العرض الجديد، عن معزوفة «بحيرة البجع» للروسي تشايكوفسكي. يحيل العنوان إلى طيور الأرض. في «طيور الجنة»، حربٌ أهلية بين راقصة وأمّها، كما في «البجعة السوداء». في الفيلمين، يشحذ كلّ مخرج . حكم العداء بين الراقصات، ليحصل منهن على الأفضل. يريدهنّ أنْ يفترسن بعضهنّ. بذلك، يدمّر العلاقة بينهن. إنّه شرّ متبادل بين النخبة. علاقات عدوانية، وقانون الغاب. نزعة كلبية تدمّر الحلم، وتعرّي البشر بمرارة. يبدو أنّ العدو ضروري في الفنّ، لشحذ العزيمة وبذل الجهد. لكنْ، ليس لتصفية الحسابات. الفنان العدواني، الذي يجعل من أهدافه إلحاق الأذى بمنافسيه، يبدّد روحه وطاقته. من المستبعد أنْ ينجح ويصير نجماً، وإذا نجح، يصعب عليه أنْ يستمرّ. رغم كلّ هذه الصعوبات، يحتاج البشر إلى النجوم لإضاءة حياتهم. لذلك، تستعير سارة أدينا سميث، حكاية شفهية عريقة. عصفورة صغيرة حالمة تُحلّق عالياً، لتفتح كوة في الأفق الداكن، ليدخل منه نور الشمس.

هذه وظيفة النجم . الـStar في حياة الإنسان العادي.

«طهارة» رومانية: جماليات تحتاج إلى مونتاج

محمد هاشم عبد السلام

يبدو أنّ الموجة الجديدة الرومانية، التي بدأت مطلع الألفية الجديدة، وتألّقت على امتداد العقد الماضي، لم تضعف بعد. مدّها لا يكفّ عن الاستمرار والانتشار. في الأعوام القليلة الماضية، قدّمت السينما الرومانية أسماء جديدة شابّة في مختلف المهرجانات الدولية، حظيت أفلامها بتقدير وترحاب كبيرين، وتُوِّج بعضها بجوائز رفيعة، آخرها جائزة «أسد المستقبل. لويجي دي لورنتس» لأفضل مخرج واعد عن أول فيلم طويل، في الدورة الـ78 (1 . 11 سبتمبر/ أيلول 2021) لـ«مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي (لا موسترا)»، التي حصل عليها الثنائي مونيكا ستان (1982) وجورج شيبر ليلمارك (1979) عن «طهارة».

سينما رومانية جديدة تزداد تألّقاً في المحافل الدولية

مونيكا ستان وجورج شيبر ليلمارك: جائزة أول فيلم (فيتّوريو تْرونينو تشيلوتّو/ Getty)

كما أنهما نالا جائزة أفضل إخراج أيضاً، بينما حصلت ستان على جائزة أفضل سيناريو لكاتبة تحت سنّ الـ40 عاماً، من قسم «أسبوع النقّاد» في دورته الـ18، المُقامة في الفترة نفسها لـ«لا موسترا» أيضاً.

يتناول «طهارة» موضوع المُتعافين من إدمان المخدرات، أو من هم في سبيلهم إلى التعافي، في مصحّ خاص للتأهيل الطبي: داريا (آنا دوميتراشكو)، مُراهقة (18 عاماً) أدخلتها والدتها حديثاً إلى مصحّ للعلاج من الإدمان. تقوّض عالمها إثر دخول حبيبها إلى السجن لـ4 أعوام، ما دمّر حياتها العاطفية والنفسية والدراسية، أكثر من تدمير الإدمان لها، الذي أقبلت عليه لإرضائه، فهو من دفعها إليه. المُلاحظ أنّ داريا لم تغرق تماماً في عالم الإدمان، وأنّها ترغب بصدق في التخلّص منه نهائياً، رغم أنّ الطريق طويلة، ومليئة بصعوبات شتّى.

قصّة إدمان داريا على الهيروين مختصرة، ويُعرف مُجملها في البداية، عبر أسئلة وأجوبة استقصائية شبه تسجيلية. لذا، لا يغرق «طهارة» في العالم المأسوي للإدمان والمدمنين، ولا يُعاين المُعتاد في هذا النوع الصعب من دراما الإدمان والمدمنين، رغم كثرتها، ولا يبحث في الحافز البطولي إلى التغلّب على الإدمان ومصاعبه، ولا يتطرّق، تأييداً أو إدانة، إلى مؤسّسات العلاج والقائمين عليها، وطرقهم وأساليبهم. الأمر مُغاير كلّياً. أيضاً، لا استعراض لأعمال العصابات، ولا للمُشاجرات. لا وجود لأطباء، وعمليات حقن، وتشنّجات، وصراخ، ولا للأجواء المُعتادة في المصحّات الاستشفائية. في «طهارة»، هناك العالم الخاص لداريا في المصحّ، والبيئة الجديدة التي يمنحها المصحّ لها، والتعامل المشوّش والمُضطرب مع شخصيات غامضة، مُتّزنة أو مُتقلّبة. أحياناً، تكون الشخصيات متفهّمة أو مرحة، وأحياناً أخرى استفزازية أو استحواذية، أو ساعية إلى إشباع رغبات متباينة. هناك أيضاً خصوصية ملحوظة من البياض والنصاعة والطهارة الظاهرة، المُغلّفة للأشياء. هناك هدوء قاتل، وانسحاب وانعزال مميتان، بعيداً عن البشر والعالم والزمن. كأنّ المرضى يسبحون في عالم غريب شبه مثالي، يتعاملون فيه كأفراد أسرة واحدة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أقوالهم

«إي تي» لستيفن سبيلبرغ أول فيلم شاهدته في الصالة. لا أعلم إذا كان لهذا الفيلم تأثير فيّ. لا أتذكّره جيداً، عندما بدأت أهتمّ بالسينما، وهذه لحظة كبيرة في حياتي. هناك لحظات أهمّ، جاءت لاحقاً: برغمان وكوروساوا شكّلا وعيي السينمائي. اعتدتُ مشاهدة أفلامهما مع والدي. شدّتني إلى برغمان الفلسفة العميقة التي تنطوي عليها أفلامه.

جيسيكا هاوزنر

بعد برغمان، بدأتُ أنظر إلى السينما نظرة جديدة لسبب أجهله. كنتُ المهتمّ الوحيد بالسينما في بيئتي. لم تكن تعني لوالدي شيئاً. ما كان يربطني بها شغف المشاهدة. لم أكن أفكر أنّي سأصبح سينمائياً. في إسطنبول، كان هناك شحّ في الأفلام. لم تكن مشاهدتها متاحة كما اليوم. لم تكن كاسيتات الفيديو ظهرت.

نوري بيلغي جيلان

أفعالهم

Once Upon A Time In Calcutta لأديتيا فيكرام سانغوبتا، تمثيل **شريليكا ميترا** (الصورة): بفقدانها ابنتها، تفقد إيلاّ هويتها كأم، وسبب بقائها مع زوجها. تريد قرضاً مصرفياً، لكنّها تفشل. يعرض عليها مديرها في المؤسّسة التي تعمل فيها عرضاً، يصعب عليها قبوله. عندها، تجد نفسها في مأزق يتعلّق بحياتها، فتجهد في البحث عن منافذ للنجاة.

Clara Sola **لناتالي ألفاريز ميسين** (الصورة): يظنّ سكّان قرية نائية في كوستاريكا أنّ كلارا (40 عاماً) تمتلك صلة خاصّة بالربّ. تنجذب إلى الصديق الجديد لابنة شقيقها، فتتحرّك مشاعرها، وتبدأ رحلة قاسية للتحرّر من معتقدات اجتماعية ودينية وتربوية، فتُصبح سيّدة نفسها بفضل قوة جديدة تكتشفها في ذاتها.

أخبار

◆ أثار كلام الممثل المصري أحمد السقا، لحظة تكريمه في افتتاح الدورة الـ3 (14 . 22 أكتوبر/ تشرين الأول 2021) لـ«مهرجان الجونة السينمائي» انتقادات متواضعة من مصريين عديدين، منشورة في صفحاتهم الفيسبوكية. جملة واحدة كافية لإثارة الانتقادات، إذْ قال إنّ السينما المصرية كان «خُلقُها ضيّقاً» منذ نكسة 1967 حتّى «إسماعيلية رايح جاي» (1997) لكريم ضياء الدين. في مؤتمر صحافي عقده في اليوم التالي، سُئل عن هذا، فقال إنّ البعض «فهم كلامه خطأ». لكنّ تفسيره لمضمون كلامه غير نافع لتوضيح موقفه، باستثناء إعلانه عن احترامه للسينما المصرية وإنتاجاتها، خصوصاً في الفترة التي ذكرها هو.

كلام السقا، الذي يُعتبر أحد أفضل ممثلي أفلام الأكشن والتشويق في السينما المصرية، في الأعوام الفائتة، يعكس جهلاً في تاريخ واشتغالات، أو يُعبِّر عن تشاوفٍ يتناقض (التعبير) مع ما قاله هو نفسه في الحفلة نفسها، حين نصحه والده، وهو على فراش الموت، بأنّ يكون «ذاك النجم الذي يُمكن للجميع أنْ يُسلِّم عليه باليد».

ورغم توضيحه غير الكافي، يعكس كلامه واقعاً مفاده أنّ الهوّة عميقة بين أكثر من جيل سينمائي مصري، وأنّ الحضور الاستعراضيّ لنجوم ونجمات يكشف خواء مهنة وأداء وحِرفية، رغم أنّ في المهنة والأداء حِرفية يصقلها الممثل أو الممثلة بشكلٍ فطري، بفضل المشاركة الدائمة في أفلامٍ وأعمالٍ درامية. مع أنّ هذا مقبولٌ ومفيد، وإنْ إلى حدّ ما، تحتاج الحِرفية الفطرية إلى حصانةٍ، يؤمّنها وعي ثقافي بأحوال وتاريخ وذاكرة، بالإضافة إلى المُشاهدة الغزيرة للأفلام، على الأقلّ، خصوصاً تلك التي يُجمع عليها نقّاد ومؤرّخون وباحثون، أو تلك التي تبقى ناصعةً وحاضرة وفاعلة في الوجدان والتفكير والمتابعة عند مشاهدين من أجيال مختلفة.

أحمد السقا يمتلك شيئاً من تلك الحِرفية، رغم أنّ أدواره المهمّة قليلةٌ. نسبةً إلى اللائحة الكبيرة للأفلام المُشارك فيها، ومنها «إبراهيم الأبيض» (2009) لمروان حامد، مع محمود عبد العزيز وعمرو واكد وهند صبري، التي قدّمته في تكريمه، قبل أنْ يستسهل تلفّظه بتلك الكلمات المُسيئة إلى صناعة السينما المصرية وتاريخها.

أو إلى بعض تلك الصناعة والتاريخ على الأقلّ، خصوصاً تلك المُنتجة في الفترة المذكورة على لسانه.